الباب الخامس

۞ البِرُّ والإحسانُ في مَجالِ العَمَل ۞

- **الفوائد الأربع للبر والإحسان في مجال العمل:**

١- محبة الله تعالى لك.

٢- الأجر الكبير في الحياة وبعد الممات.

٣- محبة الخلق.

٤- زيادة الأرباح.

obeikandl.com

obeikandl.com

البر والإحسان في مجال العمل

المسلم حَسَنُ الصلة بالله وحَسَنُ الصلة بالناس، إذا أتقن الأمرين معاً أدرك ما يعده به الله من الخيرات، لكن إذا فاته أحد هذين الأمرين لحق به خلل كبير، فمهما أحسنت إلى الناس وقدمت لهم الخير والبر والإحسان ومنعت عنهم الأذى والضرر فأنت تتقرب إلى الله تعالى وتلتزم شِرعَة الإسلام، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٧٧﴾ [الحج: ٢٢/ ٧٧].

ألم يقل جل جلاله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُۖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٤٥﴾ [البقرة: ٢/ ٢٤٥].

وقال رسول الله ﷺ: «**أحبّ النّاس إلى الله تعالى أَنْفَعُهُم لعياله، وأحبُّ الأعمالِ إلى الله تعالى سُرورٌ تُدخِلُه على مسلم، أو تكشف عنه كربةً، أو تقضي عنهُ دَينًا، أو تطرُدَ عنه جوعًا، ولأَن أمشي مع أخي في حاجتِهِ أحبُّ إليَّ مِن أنْ أعتكف في هذا المسجد** - يعني

مسجد المدينة - **شهرًا، ومَن مشى مع أخيهِ في حاجةٍ حتّى تتهيَّأ له أثبتَ الله قدمَه يوم تزولَ الأقدام»**[١].

وقال ﷺ: **«مَنْ نَفَّسَ عن مؤمنٍ كُربَةً مِن كُرَبِ الدُّنيا نَفَّسَ الله عنه كُربَةً من كُرَبِ الآخرة، ومَن سَتَر على مسلمٍ ستره الله في الدُّنيا والآخرةِ، والله في عونِ العَبْد ما دامَ العبْدُ في عونِ أخِيه»**[٢].

إن شريعة الإسلام تقوم على فعل الخير، فافعل الخير لكل من تستطيع، وفي كل مكان وزمان، فأنت في عملك وفي متجرك، في سوقك التجارية تستطيع أن تقدم من أعمال الخير والبر والإحسان لمن حولك ما لا يحصيه العد، فافعل الخير تؤجر إن شاء الله.

كان شاباً موفقاً في عمله، متفوقاً في أدبه وخلقه، بدأ تجارته برأس مال مقبول، نمَّاه الله وبارك له فيه، أنشأ شركةً عَمِلَ عنده فيها مئة موظف، كان حريصاً على بذل البر والإحسان والمعروف لهؤلاء الموظفين، وكان مع تحريِّه الربح الوافر يتحرّى أن يقدم إحساناً لهؤلاء، دعا موظفيه إلى تطوير مواهبهم وتطوير مادتهم العلمية والعَملية، كان يُخضعهم لدورات متكررة في اللغة الإنكليزية، وفي الإدارة، وفي الموارد البشرية، وفي الفقه، والشريعة، وفي المبيعات، وفي التسويق، وفي الحاسب... كل ذلك على حسابه الشخصي وفي أثناء الدوام، يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بتقديم البر والإحسان.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٥٣/ ١٣٦٤٦).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء (٣٨).

شجَّع من لم يحصل على الشهادات الجامعية منهم على تحصيلها، وساعد من استطاع أن يساعده للحصول على الشهادة الثانوية، وربما طلب من المحاضرين أن يزوروه في الشركة في قاعة المحاضرات ليحاضروا في عماله عن طريقة التغذية الصحيحة لمراعاة صحة العمال وأُسرهم، وحاضَروا في شركته عن طريقة تربية الأولاد الصحيحة لرعاية أُسر عمَّاله، كان يقدِّم لمن استطاع منهم المساعدات المالية من زكاته أو من صدقاته، وربما من هدايا إضافية، أنشأ لهم في شركته صندوق تعاون صحّي للتكافل الصحي، وأنشأ لهم صندوقاً لتوفير المال يدّخرون فيه المال، كافأ كلَّ من امتنع عن التدخين منهم بمكافآت مجزية... وهكذا اجتهد بتقديم البر والإحسان وهو في سوقه التجاري حتى ذاع صيته الخيِّر بين الناس، وصار الأكفاء من الناس يحرصون على العمل لديه، أو على تشغيل أبنائهم لديه، وغدا بعض الناس يتمنون أن يستثمروا أموالهم معه، فنما بذلك عمله في الدنيا، ولا ريب أن هذا العمل نامٍ كذلك في الآخرة - إن شاء الله-.

لقد بات العالمُ المتقدمُ اليوم يشيعُ ثقافة البر والإحسان والتطوع وبذل المعروف للآخرين، وبات رقيُّ الدول له مقاييس ومعايير جديدة، فالمال الكثير وإنشاء الجامعات ليس معياراً وحيداً لتطور الدولة، فهناك معايير جديدة تظهر في العالم الآن، لقد بات تطوير الدول يقاس بمعيار ما تحتويه هذه الدول من إدارات للمتطوعين، ومشاريع لا ربحية، ومؤسسات للبر والإحسان، فكلما كانت الدولة تحوي إدارات متطوعة أكثر كانت أكثر تقدماً ورقياً من غيرها،

وأنتم تعلمون أن القطاعات العاملة في أي بلد ثلاثةٌ: (**القطاع العام، والقطاع الخاص، والقطاع المشترك**)، لكن أُضِيفَ إليها قِطاع رابعٌ: هو (**القطاع اللاربحي**)، أو ما نسميه بالعمل الخيري أو التطوعي المبنيِّ على البر والإحسان، وبمعنى آخر: هو الذي ينطوي تحت قول الله تعالى: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٢٢/ ٧٧].

وعليه فوجود العمل الخيري في بلد ما يعني أن هذا البلد آمن من النكسات الاقتصادية، وآمن من عذاب الله، وكلما كان القطاع الرابع - التطوعي أو اللاربحي - أوسعَ وأنشطَ، كان البلدُ أكثرَ تقدمًا، ففي واحد من البلاد الغربية تطوع خلال عام واحد أكثر من أربعة وتسعين مليون شخص، وكان معدل ما تطوع به الفرد الواحد أربع ساعات يومياً حتى بلغ عدد الساعات التي قدمها المتطوعون عشرين مليار ساعة عمل، فكان معدل ساعات التطوع بذلك موازياً لعمل تسعة ملايين موظف، بلغ مجموع ما تطوعوا به من وقت ما قيمته ١٧٦ مليار دولار خلال عام واحد.

فثقافة البر والإحسان باتت دليلاً على فهم الناس، ودليلاً على رقيّهم، والذي لا يفعل الخير إنسان ضعيف العقل، والذي لا يفكر إلا في كسب المال في الاقتصاد إنسان ينقصه في فهم الاقتصاد الشيء الكثير، والذي لا يبذل المعروف للآخرين لا يعرف معنى الحركة التجارية في الأسواق، فأعمال البر والإحسان فيها خير كثير للفرد والمجتمع في الدنيا وفي الآخرة.

ومن الملاحظ أن طلاب إدارة الأعمال اليوم أصبحوا يُدرَّسون في معاهدهم ثقافة البر والإحسان، وكذلك الحال في الشركات المنتجة، فهذه الثقافة غدت ركناً أساسيًا، بل إن هذا الركن هو الذي يجعل شركتك أو محلك التجاري فعالًا.

يقول أحد خبراء الإدارة الغربيين: «**إن الشركات التي تمثل فيها هذه الأعمال عنصراً أساسياً من ثقافتها ارتفعت عائداتها المادية**».

قررت أكبر شركة غربية للتجهيزات البصرية -لها ثمانون وست مئة مركز تجاري- منح خدمات بصرية مجانية، كإعادة استخدام النظارات المستخدمة سابقًا، وأُطلِق على هذه المهمة (هدية الأبصار السليمة)، وخلال عام واحد **منحت هذه الشركة تسعة وثلاثين ألفاً من المرضى الفقراء نظارات جديدة، وأجرت عشرين ألف فحص للعيون مجانًا، وأوفدت على نفقتها ستة وثمانين ومئتي ألف موظف وطبيب إلى بعض المراكز الاجتماعية لتعديل نظارات بعضهم وإصلاحها، وأرسلت شاحنات مجهزة بآلات طب العيون إلى مناطق متعددة قدمت من خلالها خدمات بصرية لنحو سبعين ومئة ألف طفل، وتم تسليم نظارات جرى تعديلها وتنظيفها وضبطها إلى المحتاجين الذين زادوا على ثلاثة وخمسين ومئة ألف شخص من الفقراء**، كل هذا فعلوه لأن البر والإحسان يزيد دخلهم، ولأن فعل الخير للآخرين يعود عليهم بالأرباح، وهذا البر والإحسان ركن ركين في ديننا، لأنه ما من مسلم إلا ويحفظ المصطلح القرآني القائل: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٥].

إن ثقافة البر والإحسان في العمل باتت اليوم تدل على فعالية الشركات، وعلى رقي الدول، وعلى رفعة الإنسان، وإن ثقافة الأثرة والفردية والجشع المادي باتت اليوم تدل على ضعف الإنسان، وضعف الشركات، وعلى تأخر الدول.

واللافت فيما قرأت أن خبراء الإدارة اليوم ينصحون الشركات أن تقرر ما الذي يمكن صرفه على المساعدات الإنسانية في كل عام، يقولون - والبحث ليس عربياً ولا إسلامياً -:

«**لابد أن تقرر في كل عام ما مقدار الميزانية التي ستنفقها في أعمال البر والإحسان**، وهذا التقدير قائم في الغالب على أساس النسبة المئوية، كأن يخصص صاحب العمل لأعمال البر والإحسان ٢،٥٪ من أرباح الشركة».

أليست هذه النسبة هي نفسها نسبة الزكاة في الإسلام؟ لكن الإسلام سبق أمثال هذه الدراسات بعشرات المراحل بأن جعل للزكاة نصاباً كاملًا، وجعل للصدقات حديثاً طويلاً، فضلاً عن نظام الإرث ونظام النفقات، وإن أكبر مغنم لكل مسلم وهو في متجره أن يقدم براً وإحساناً للآخرين، لا أن يجمع المال وحسب، فالمال غادٍ ورائح، لكن عمل البر هو الذي تحصّلُه ويبقى لك في الآخرة.

لذلك كلما فكرت أن تجمع مالاً أكثر فكِّر كيف تقدم معونات أكثر للفقراء والمساكين.

إنه لا سعادةَ تعدل سعادةَ بذل الخير والإحسان للآخرين؛ سعادةٌ كبيرة تغمرك إذا شفى الله مريضاً على يديك، أو فك الله أسيراً على يديك، أو قضى الله دين عاجز عن السداد على يديك، أو تاب عاصٍ إلى الله تعالى على يديك، أن تصلح بين اثنين مغنمٌ كبير، أن تعلِّم جاهلًا، أو تعين أخرقَ، أو تجبر كسيرًا، أو تغيث ملهوفًا... مغنم كبير، تنال به سعادةً ما بعدها سعادة.

الفوائد الأربع للبر والإحسان في مجال العمل

أولاها: محبة الله تعالى لك

قال الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢/ ١٩٥]، وجاء في الخبر عن رسول الله ﷺ: «**الخلق كُلُّهم عيال الله، وأَحَبُّ الخلق إلى الله أنفعهم لعياله**»(١).

ثانيتها: الأجر الكبير في الحياة وبعد الممات

قال رسول الله ﷺ: «**سبعٌ يجري للعبد أجرُهُنَّ بعدَ موته: من علَّم علمًا، أو أجرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ورَّث مصحفًا، أو ترك ولداً صالحاً يستغفر له بعد موته**»(٢).

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦/ ٦٥/ ٣٣١٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٣/ ٧٤٤٥)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢٤٨/ ٣٤٤٩)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٤٤)، من حديث أنس رضي الله عنه.

وفي حديث آخر قال النبي ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»(١).

قال الإمام النووي: «قال العلماء: معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدُّد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها، فإن الولد مِن كَسْبه، وكذلك العلمُ الذي خلَّفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقةُ الجاريةُ وهي الوقف»، لا ريب أن هذه أمثلة لأعمال البر والإحسان.

ثالثتها: محبة الخلق

إذا أحسنتَ إلى الناس، فأطعمت فقيرًا، أو آويت شريدًا، فإن الله سبحانه وتعالى سيكتب لك القبولَ في الأرض حتى يحبك جميعُ الخلق، فما فائدة المال والغنى إذا كان الناس يكرهونك، ويتمنون أن تزول عنك النعم وتحل بك النقم، ذلك لأنك آذيتهم، واعتديت على حقوقهم، وأخذت أموالهم بالباطل... قال الشاعر أبو الفتح البستي:

أحسِنْ إلى النّاسِ تَستَعبِدْ قُلوبَهُمُ ... فطالَما استعبَدَ الإنسانَ إحسانُ

وإنْ أساءَ مُسيءٌ فلْيَكنْ لكَ في ... عُروضِ زَلَّتِهِ صَفْحٌ وغُفرانُ

وكُنْ على الدَّهر مِعواناً لذي أمَلٍ ... يَرجو نَداكَ فإنَّ الحُرَّ مِعْوانُ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الوصية (١٤)، والترمذي (١٣٧٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: حديث حسن صحيح.

واشدُدْ يَدْيكَ بحَبلِ الدِّينِ مُعتَصِمًا فإنَّهُ الرُّكْنُ إنْ خانَتْكَ أركانُ
مَنْ يَتَّقِ اللهَ يُحْمَدُ في عَواقِبِه وَيكفِهِ شَرَّ مَنْ عزُّوا ومَنْ هانُوا
مَنِ استعانَ بغَيرِ اللهِ في طَلَبٍ فإنَّ ناصِرَهُ عَجزٌ وخِذْلانُ
مَنْ كانَ للخَيرِ مَنّاعاً فليسَ لَهُ على الحَقِيقَةِ إخوانٌ وأخْدانُ

في القديم قالوا: (الإنسان عبد الإحسان)، فإذا أحسنت إلى رجل ملكته، وامتلاك الرجال أكبر بكثير من امتلاك الأموال.

رابعتها: زيادة الأرباح

إن عمل البر والإحسان في عملك يزيد من أرباحك، مع أن المتوقع أنها تقِلّ، لكن هناك إحصاءات رقمية تقول: إنها في ازدياد، فضلاً عمّا أخبرنا به الدِّينُ عن البَرَكة؛ لأن السمعة الجيدة للمتجر أو الشركة أو المعمل ناتجةٌ عن أعمال البر والإحسان، فهي تجذب الزبائن وتزيد في الأرباح.

حدثني صديق له باعٌ في أعمال البر والإحسان أن العملاء من خارج البلد يقولون له: أرسل لنا البضاعة الفلانية، فيقول لهم: ما النوع الذي تريدونه، يقولون: ما شئت، ما الكمية التي تريدون؟ يقولون: أرسل ما شئت، فهنالك ثقة بلا حدود بينهم، ولأنه من أهل البر والإحسان أصبح الزبائن يتنافسون على الشراء منه والاتّجار معه، لذلك لا تُصغِ إلى كلام الذين يعذلونك ويعيبون عليك فعل الخير، واعلم أن المكرمات تزيد من الأرباح وقل لهم:

أُحِبُّ المكرمات لِأَنَّ جودي يَزيدُ عَلى اِزدِيادِ المكرمات

تُـعَـيِّرُني بِـأَن أَفـسَـدتُ مـالي فَسادُ المالِ إِحدى الصالِحاتِ

واعلم أيضاً أن أعمال البر والإحسان تجذب الزبائن والموظفين المتميزين والمستثمرين، وهؤلاء جميعاً عوامل مهمة في زيادة العائدات.

قال سيدنا محمد ﷺ: «**هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم**»[(١)].

هذه هي الفوائد الأربع للبر والإحسان: (**محبة الله، والأجر الكبير، ومحبة الخلق، وزيادة الأرباح**).

والنتيجة العملية لما سَلَفَ: مجموعة من الوصايا التي تكفل الانتقال مِن حيّز التنظير إلى حيز العمل شريطة أن تغتنمها وتعمل بها حتى يشيع الخير في مكاتبنا وفي عياداتنا وفي أسواقنا التجارية:

الوصية الأولى: ضع برنامجاً للعمل في مجال البر والإحسان:

اجلس مع نفسك، ثم فكِّر بوضع برنامج لأعمال الخير، وامزج ثقافة البر والإحسان بثقافة عملك، ثم امض بعد ذلك في خدمة الآخرين كأن تعِين عاطلاً عن العمل على تَعَلُّم مهنة ما يقتات منها، أو تكفل يتيماً أو حافظاً للقرآن، أو أن تسهم في بناء مدرسة شرعية، فأعمال البر والخير كثيرة لكنها تحتاج إلى برنامج عمل ينظمها، ويشرف على تنفيذها.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٦)، وأحمد (٣/ ٨٦/ ١٤٩٣)، من حديث سعد بن مالك رضي الله عنه.

الوصية الثانية: قدِّم معونة ومساعدة للآخرين:

احرص على تقديم معونة ومساعدة مادية أو عينية للآخرين في كل يوم، واجعل عملك هذا خالصاً لوجه الله، فأنت لا تريد منهم جزاءً ولا شكورًا، إنما تساعدهم لوجه الله وابتغاء مرضاته، فإذا فعلت ذلك كنت مع النبيين والصالحين في زمرة الذين قال الله عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٢١/ ٩٠].

الوصية الثالثة: لا تتخلَّ عن البرنامج في الأوقات الصعبة:

إذا كنت في ضائقة فلا تتخلَّ عن برنامج البر والإحسان، وإذا كنت متعباً فلا تتخلَّ عن أعمال البر والإحسان، افعل ما استطعت؛ لأن الله عز وجل سيجعل لك فرجاً قريباً إن شاء الله تعالى بهذا العمل، الذي هو نوع من أنواع التقوى، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٦٥/ ٢].

ختامًا: قال رسول الله ﷺ: «**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**»، قيل: هل رأيت إن لم يجد؟ قال: «**يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق**»، قيل: هل رأيت إن لم يستطع؟ قال: «**يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ**»، قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «**يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَن الْمُنْكَر**»، قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «**يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ**»[1].

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٤٤٥)، ومسلم في كتاب الزكاة (٥٥).